

ذكر سلطنة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وهو أول من لقب بالسلطان، قال: ولم يبلغ خبر وفاة والده كان بنيسابور، فجلس للعزاء، ويدرك له ما يتعين من تقديم الكبير، وترددت الرسائل بينهما، فلم تستقر قاعدة، فسار محمود من نيسابور إلى هرة (١) فتبعد، وأuanه، وسار إلى غزنة، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم إسماعيل، واستقام له المالك، وأطاع العساكر ذكر استيلاء يمين الدولة محمود على خراسان واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم السامانية، فلحق عبد الملك، وفائق بخاري، ثم قصد نواحي جرجان، فأرسل محمود خلفه أرسلان الجاذب فاتبعه حتى ألحقه بجرجان، وعاد فاستخلفه محمود على طوس ، وخطب بها للقادر بالله، وهي مستقر ملك أبيه، واتخذها دار ملك، واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته كالقريغون أصحاب الجوزجان (٢). فسار يمين الدولة نحو خلف بن أحمد أبو طاهر، فحاصره، وضيق عليه، فبذل الأموال، فأجاهه إلى ما طلب، ذكر غزوة الهند لا وفي المحرم سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة أحب يمين الدولة أن يغزو الهند ويجعل ذلك كفارة لقتاله مع المسلمين، واقتتلوا إلى نصف النهار، فانهزم الهند، وغنم المسلمون أموالهم وجواهرهم، وأخذ من عنق جيabal قلادة من الجوهر قومت بمائتي ألف دينار، وفتح كثيراً من بلاد الهند، فاحتراق. فحاصرها، ثم بلغه أن طائفة من الهند اجتمعوا في شعاب تلك الجبال، فجهز إليهم من عساكره من قتالهم، وانقطع للاشتغال بالعلم، فأخذ أبوه يلاطفه، فزاره ابنه طاهر فقبض عليه، فتغير العسكر لذلك، وكانتوا يمين الدولة في تسليم سجستان إليه، وهو في حصن الطاق (٣)، وهذا الحصن له سبعة أسوار محكمة يحيط بها خندق عريض لا يعبر إليها إلى مكرمة، ثم بلغ يمين الدولة أنه كاتب إيلك خان ملك ما وراء النهر يحثه على قصد يمين الدولة، فنقله إلى جردبن (٤)، فسلم محمود جميع ما خلفه إلى ولد أبي حفص، ثم أقطعها لأخيها نصر بن سبكتكين إلى نيسابور. ذكر غزوة بهاطية، وملكتها وصاحبها بإجراء. فسبقه المسلمون إلى بابها وملوكها، وأقام يمين الدولة بهاطية حتى أصلح أحوالها، ومن يعلم من أسلم شرائع الإسلام، ذكر غزوة المولتان فأجابوه، فسار خلفه إليها، وهي حصن عظيم يسع خمسة وألف إنسان، وفيه خمسة وألف فيل وعشرون ألف دابة، ورأى في الطريق وادي عظيم العميق البعيد القعر، فراسله صاحبها في الصحفا ممتنعاً عليه، ثم بلغ عن خراسان خلافاً بسبب قصد إيلك خان، فصالحه على خمسة وألف فيل وثلاثة آلاف من (٥) من الفضة، فجاءه منهم خلق كثير، فسار بهم إلى نحو بلخ، ثم سار نحو أبيورد، فوصل إلى جرجان، ثم عاد إلى خراسان، وانهزم من كان يبلغ مع جعفر تكين، ذكر انهزم إيلك خان من يمين الدولة واستعلن به، واجتمع هو وإيلك خان فعبروا النهر، وجعلوا الترك الغزية والخلج والهند والأفغانية والغزنوية، وقدم إيلك خان، ونزلوا بإزائه، فلما كان الغد بربع بعضهم البعض، فاعتزل يمين الدولة على نشر (٦) مرتفع ينظر إلى الحرب، وسأل النصر والظفر، ثم حمل بفيشه على قلب عسكر إيلك خان، وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون، ويأسرون، ويغنمون إلى أن عبروا النهر وأكثر الشراء القول في تهنة يمين الدولة بهذا الفتح، وذلك في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة. قال : ولما فرغ يمين الدولة من حرب الترك بلغه أن بعض أولاد ملوك الهند واسمها نوادشاد، وكان قد أسلم على يد يمين الدولة، واستخلفه على بعض ما افتحه من بلادهم ارتد عن الإسلام، وعاد إلى الكفر، واستخلف عليها بعض أصحابه، وفي سنة ثمانين وتسعين وثلاثمائة استعدوا لغزو الهند وساروا في شهر ربيع الآخر من السنة، ثم كان الظفر للMuslimين فانهزم الهند في أعقابهم، وتبعوا يمين الدولة الملك حتى بلغ بهم نغر، وهي على جبل عال كان الهند قد جعلتها خزانة لصنيهم الأعظم، وهم يرون ذلك تقرباً لآلهتهم وعبادتهم، وحضرها، فلما رأى الهند كثرة جموعه وشدة قتاله جبوا، وطلبو الأمان، ومن الدرهم تسعين ألف درهم شاهية، فأخذ جميع ما فيه إلى غير ذلك من الأمتنة، وفي سنة أربعين غزاة يمين الدولة الهند وأحرقها واستباحها، ونكس أصحابها، فلما رأى ملك الهند أنه لا قوة له إلى به في الصلح والهندنة على مال يؤديه إلى خمسين فيلا، وهي جبال منيعة ومضايق، يقطعون الطريق ويختفون السبيل، فأنف يمين الدولة من ذلك، وبدوا فيهم السيف، وملك المدينة، وأسر ابن سورى، وأظهر يمين الدولة شعائر الإسلام في بلا ٢٩ الفن، وجعل عندهم من يعلمهم شعائر الإسلام وشرائعهم. فقطع مفارزة (٧) رمل، وسهلا عليهم سلوك الرمل، فوصلوا إلى الكفار ومعهم ستة وأربعين فيل، فقاتلهم أشد قتال كان الظفر فيه للMuslimين، ذكر ملكه قصدار والسبب في ذلك أن ملكها كان قد صالحه على قطعية (٨) في سنة تؤدي بها إلى يمين الدولة، وكثرة المضايق في الطريق إليه، فلما فسد ما بينهما سار في جمادى الأولى من السنة، فلما شعرت صاحبها إلا بعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلاً، وأقره على ولايته وعاد وفي سنة ثلاثة وأربعين كانت وفاة إيلك خان، ذكر فتح ناردين فسار شهرین حتى قارب مقصوده، فسمع عظيم الهند إلى فجمع، فاجتمع إليه كل من حمل السلاح، فكتب له ولقب نظام الدين. فزع على غزوه، فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور ذكر قتل خوارزمية شاه وملك يمين الدولة خوارزمية والسبب أنه كان قد ملك خوارزم (٩) جرجانية، وحضر عند يمين الدولة، وتزوج أخته، ثم بعث إلى يمين الدولة أن يخطب له على منابر الأجهزة، فأجاهه إلى ذلك، واستشار أمراءه، وتوعدوه بالقتل إن فعل، وأخبره بما شاهده، ثم خاف الأمراء فقتلوا غيلة، فجمع العساكر، فأخذهم السيف،

وجمع من أسرهم وسبيئهم إلى أجهزة بالهند، وملك يمين الدولة خوارزم، واستناب بها حاجبه التونتاش ذكر غزوة تشمير وقنوجو وغيرهما من الهند (٢) وفي سنة سبع وأربعينات أيضاً بعد فراغ يمين الدولة من خوارزم سار إلى غزنة، واجتمع له من المتطوع (٢) من بلاد ما وراء النهر وغيره نحو عشرين ألف مقاتل، فلما بلغ درب كشمير أتاها صاحبها وأسلم على يده، وسار بين يدي إلى مقصوده، فبلغ ماء جون في العشرين من شهر رجب، فعلم أنه لا ينجيه إلا الإسلام، فنزل في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص، وهو من أعيان الهند، فانهزموا وحصلوا على السيف منهم، ولقوا نهراً عميقاً، فاقتربوا فغرق أكثرهم، فكانت الجريمة والغرقى قريباً من خمسين ألفاً. وعمد كل جند إلى زوجته، فقتلها ثم قتل نفسه، فوصل إلى شعب، وفيها قريبة من عشرة آلاف بيت صائم تمسك أنها عملت من مائتي ألف إلى ثلاثة ألف سنة كذباً منها. واستسلموا للقتل، فقتلوا ولم ينج منهم إلا قليلاً، ثم سار نحو قلعة آسي (٣) وأصحابها جنداري، فأخذ قاربه وفيلته إلى جبال هناك منيعة، وأسر كثيراً منهم، فبني بها الجامع الذي لم يسمع بمثله، وفي سنة ثمانين وأربعينات خرج من الصين، فطمعوا في البلاد، وساروا من الصين في عدد يزيد على ثلاثة ألف خرakah من أجناس الترك منهم الخطا الذين ملكوا ما وراء النهر، فساروا إلى أن قربوا من بلا ساغون (٤)، فسأل طغان خان الله تعالى أن يعافيه لينتقم منهم، ويحمي البلاد، ثم يفعل به ما يشاء، فعفا الله تعالى، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر، فكبسم، وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل وأسر نحو مائة ألف، وغنم من الدواب، والأواني الذهبية والفضية، وكاتب يمين الدولة يستتجده على أرسلان، فعقد يمين الدولة على نهر جيحون (١) جسراً من السفن، وضبطه بالسلال وعبر عليه، ولم تكن تعرف الحسور قبل ذلك هناك، وسار قدر خان وأرسلان خان إلى بلخ والتلقوا بيمين الدولة واقتتلوا قتالاً شديداً كان الظفر فيه ليمين الدولة عليهما، ذكر أخبار قدر خان وأولاده كان قدر خان يوسف بن بغرا خان هارون بن سليمان عادلاً حسن السيرة كثير الجهاد، فمن فتوحه ختن»، فتوفي وكان يدين الصلاة في الجماعة. واقتسموا البلاد، فملك أبو شجاع أرسلان خان، وخطب له على منابرها. قيل : ولم يشرب الخمر قط. وأهل الدين يقصدونه من كل جهة، ويصلهم ويحسن إليهم فغاظها ذلك فسمت بغرا خان، وخنت أخاه أرسلان خان بن قدر خان، وذلك في سنة تسع وثلاثين وأربعينات، وملكت ابنها وأسمه إبراهيم، وانهزم عسكره إلى أمه. كان بيده سمرقند وفرغانة، وكان أبوه زاهداً متبدداً، وكان طفاج متدين لا يأخذ مالاً حتى يستعن العلماء، وورد عليه أبو شجاع العلوى الواقع وكان من الزهاد، فأغلق طفاج بابه وعزם على ترك الملك، وقالوا: قد أخطأ الواقع، وفي الملك إلى ستين وأربعينات، ففلج، فقصد أخوه طغان خان بن طفاج، وكان طفاغ خان قد استولى على مالكهما، والحد بينهما خُجنة (١) . ثم مات شمس الملك، فملك بعده أخوه خضر خان، وهو الذي قبض عليه السلطان ملكشاه السلجقي، فنفر الرعية منه، وملك بخارى (٢)، وماجاورها، وهرب أحمد خان، واختفى في بيوت بعض العامة، فغمز عليه، فأكرمه السلطان، وأرسله إلى أصفهان واستولى ملكشاه على سمرقند وبخارى واستعمل عليها من قبله على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار الدولة السلجوقية. وكان جده من ملوكهم، وكان أصم، فقصد طغان خان صاحب طراز، واستناب بسمرقند أبا المعالي محمد بن زيد العلوى البغدادي، وقتل معه خلقاً كثيراً، ثم خرج طغان خان إلى ترمذ (٢) يريد خراسان، فلقيه السلطان سنجر السلجقي، فأخذها منه عمر خان، وملك سمرقند ثم هرب من جنده، هؤلاء ملوك سمرقند وما والاها . فإنها كانت لأرسلان خان بن يوسف قدر خان، ثم صارت بعده لمحمود بغرا خان صاحب طراز والشاش (٤) خمسة عشر شهراً، وملك بلا ساغون، وكان ملكه ستة عشر سنة ثم توفي، وملك كاشغر وختن، وأقام في الملك عشرين سنة، فولي بعده ابنه أحمد أرسلان خان ورسول الخليفة المستهزئ بالله يطلب منه الخلع والألقاب، ثم صار ملك ما وراء النهر لملوك الخط، ضد الدولة الخانية، ذكر غزوة الهند والأفغانية فاكتل ذلك إلى الحرب بينهما، فقتل راجيباً وأكثر جنوده، وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون، ثم استقر في السير، وبلغ في الهند ما لم يبلغه غيره، فلما جاوزه وجد قافلة تعد على ألف جمل، فغنمتها وسار، وأخذوا منهم جواهر كثيرة، وما يزيد على مائتي فيل، وخرج ملوكهم، وقتل من أهلها كفى، وسار يطلب بيضا)، وترك عن يمينه عن طريق بيضا يقاتل فيه إذا أراد القتال، وكان عدة من معه ستة وخمسين ألف فارس ومائة ألف وأربعة وثمانين ألف راجل وأربعين فيلاً، ووجدوا خزائن الأموال والأسلحة بحالها، فغنم المسلمون كل ذلك، ذكر فتح قلعة من بلاد الهند وفي سنة أربع عشرة وأربعينات أوغل يمين الدولة في بلاد الهند، فغنم وقتل حتى وصل إلى قلعة في رأس جبل منيع ليس يُضعد إليه إلا من طريق واحد، وفيها خمسينات فيل وغلال كثيرة، ومياه، ودوم الحصار، وضيق عليهم، وطارئ على هيئة قمرى (٢) جلبابه أدى إلى (٣)، وكان في الطعام سم دمعت عيناه، وجرى منها ماء، ويتحجر فإذا أخذ ذلك الحجر، فيجذبه حتى يمكن إخراجه، وفي سنة ست عشرة وأربعينات فتح يمين الدولة عدة حصون ومدن من بلاد الهند، وأن المد والجزر إنما هو عادة للبحر ويحملون إلى كل علق نفيس، ويعطون سدنت (٢) الأموال الجليلة، وبينه وبين نهر الكنك الذي يعظمه الهنود نحو مائتي فرسخ يتحملون من ماء هذا

النهر إلى سومنات ماء يغسل به في كل يوم، وعنه من البرهة ألف رجل لعبادة، وتلثمانة رجل تحلق رؤوس زواره ولحاه، وخمسمائة رجل، فلما بلغ ذلك يمين الدولة عزم على غزوه، وسار من غزنة فيعاشر شعب من هذه السنة في ثلاثة ألف فارس من عساكر سوى المتطوع، وفي طريقه إلى الهند قفار لا تسلك، فلما قطع المفازة رأى في طريقها حصوناً مشحونة بالرجال فيسر الله فتحها عليه، وامتنار (٣) منها، وسار منها إلى قفر قليل من الماء، فوصل إلى سومنات في يوم الخميس منتصف ذي القعدة فرأى حصناً حصيناً على ساحل البحر تبلغه أمواجه، وأهله على الأسوار ينظرون المسلمين، فلما كان الغد، وهو يوم الجمعة زحف، وقاتل حتى قارب السور، فصعده المسلمون هذا والهنود تتقدم إلى سومنات، فأكثروا في الهند، وأما البيت الذي فيه سومنات، فإنه مبني على ست وخمسين سارية من الساج (٢) المصفح بالرصاص، وسومنات حجر طوله خمسة أذرع ثلاثة مدورة ظاهرة، وأحرق بعضه، وأخذ بعضه معه إلى غزنة، وكان بيت الصنم مظلاماً، ثم ورد الخبر على يمين الدولة أن نهيم صاحب أنهلوارة قصد قلعة تسمى كنده، فسار يمين الدولة من سومنات، فسألهم عن خوض البحر هناك، فسلموا فرأوا نهيم قد فارق القلعة، وأخلاقها، وكان صاحبها قدارت عن الإسلام، وكانت غيبته في هذه الغزوة ستة شهور . ومطالعة الكتب، ونسختها. وكانت أمه تدير المملكة، قال: فلما وصلت كتبه إليه سير إليه جيشاً، وجعل المقدم عليهم حاجبه، فسار الحاجب بالعسكر، فلما وصل تلقاهم مجد الدولة، وعلى ولده أبي دلف، وأخذ من الأموال ألف ألف دينار، ثم ملك قزوين وقلاعها، وأوأة (٢) ، وياقت، وبعض على أصحابها، وسيره إلى خراسان. ولما ملك يمين الدولة الري كتب إلى الخليفة القادر بالله يذكر أنه وجد لمج الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة ولدن له نيفاً وثلاثين ولداً، وصلب من أصحابه الباطنية خلقاً كثيراً، ونفي المعزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزاز، وكانت مائة حمل، وتحصن منوجهر بن قابوس بن وشمير بجبال حصينة، فهرب إلى غياض ملتفة حصينة، وبذل له خمسمائة ألف دينار، فأجابه يمين الدولة إلى مطلب. وبعض المال وسار عنه إلى نيسابور. ثم توفي منوجهر عقيب ذلك، وولي بعده ابنه أبو شروان، وقرر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى، وعاد إلى خراسان، وعاد عنها واستخلف بها بعض أصحابه، فثار أهلها، فقتل منهم نحو خمسة آلاف قتيل وسار إلى الري فأقام بها. ذكر ملك مسعود بن يمين الدولة محمود همدان ففارقها علاء الدولة، ذكر غزوة المسلمين بالهند وفي هذه السنة غزا أحمد بن ينال تكين النائب عن محمود بن سبكتكين ببلاد الهند مدينة برسى، وهي من أعظم مدن الهند وكان معه نحو مائة ألف فارس وراجل، ونهب وسبى، دخل من أحد جوانبها ونهب المسلمين يوماً كاملاً، ولم يفرغوا من سوق العطارين والجوهريين فحسب، فلما جاء المساء لم يجسر أحد على المبيت فيه لكثرة أهله، وبلغ من كثرة ما نهب المسلمين أنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل، ولم يصل لهذه المدينة عسكر المسلمين قبله ولا بعده. ذكر وفاة يمين الدولة محمود بن سبكتكين وشيء من سيرته